بين اللغويات العربية واللغويات الفرنسية: التداخل اللغوي كمظهر للتثاقف

د. عبد الحميد دباش

جامعة الحاج لخضر باتنة

إذا انطلقنا من فكرة أن الثقافة هي مجموعة من الأفكار و القيم والسلوكات و النشاطات، فإنه يكون لكل جماعة ثقافة تمنحها خصوصيات ومنها تستمد هويتها التي تضمن تماسكها و تحافظ على كيانها كوحدة اجتماعية ثقافية متميزة.

وإذا كانت الجماعات تتواصل لتحقق حاجاتها المختلفة، فإن ثقافاتها تتلاقى من خلال هذا التواصل، فتؤثر الثقافة و تتأثر بالثقافة الأخرى، وإن كانت نسبة ذلك تتفاوت بحسب الظروف أو السياق الذي تتم فيه عملية التلاقي، وبحسب طبيعة الجماعة نفسها من حيث قوتها الحضارية وقدرة ثقافتها على النفاذ في ثقافة الجماعة الأخرى.

تعتري هذا التواصل حالات من التفاهم، أي قابلية التأثير و التأثر، و حالات من التعارض أو الرفض الذي يؤدي إلى التصادم، و يتحكم في ذلك مجموعة من المبادئ و المصالح؛ وكلما كان هناك توازن و عقلانية على مستوى هذه المبادئ و المصالح كلما قلّ التنافر المُسَبِّبُ للتصادم و ازداد التفاهم المؤدي إلى تحقيق المصالح المتبادلة.

غير أنه يُلاحظ أن الكَفَّة تميل في كثير من الأحيان نحو الطرف الأقوى، فيكون تأثيره واضحا على الطرف الأضعف في هذه المعادلة؛ و هذا ما يذكرنا بالمقولة الخلدونية المشهورة: "المغلوب مولع بتقليد الغالب".

و كيفما كانت طبيعة هذا التأثير و التأثر و مداه، فإنه يُعتبر "تثاقفا" لأنه يتمثل في انتقال عناصر ثقافية من مجتمع إلى آخر، سواء في اتجاه واحد أو في اتجاهين متعاكسين.

و لقد حدث هذا قديما حينما تأثر المجتمع العربي الإسلامي الناشئ بالمجتمع اليوناني القوي بحضارته وثقافته آنذاك، لكن سرعان ما انقلبت الأمور حينما أصبح المجتمع العربي الإسلامي في مركز حضاري قوي فأثر أيما تأثير على المجتمع الغربي ذي الثقافة النصرانية، وتم ذلك على كل المستويات المادية و غير المادية.

و كثيرا ما كان يَحصُل هذا التأثيرُ المتبادل عَبْر الترجمة، شفوية كانت أم مكتوبة. لقد تميزت "هذه الفترة، تقول ج. رضوان، بالتفاعل بين الحضارتين وبين المعارف العربية واليونانية"[1] و "وجود كلمات عربية في المعجم العلمي للغات الأوروبية، تضيف ج. رضوان، يؤكد بوضوح هذا التأثر: فمثلا في الفرنسية نَجِد كلمة algèbre «جبْر»، azimut « سمْت »، zénith «سمْت الرأس»، nadir «نظير»، alcali «القلي»، و التي نَجِدها كذلك في الإنكليزية و الألمانية و الأسبانية"[2].

أما في عصرنا هذا، حيث أصبحت وسائل الاتصال كثيرة وفعّالة "فقد بدأ أبناء البشر يميلون إلى تفهم الآخرين و التفاهم معهم آخذين هذه الفروق الحضارية بعين الاعتبار. و هذا ما هو حاصل بالنسبة للعالم الثالث الذي تحاول مجتمعاته

---

[1] Joëlle Redouane, *Encyclopédie de la traduction*, Alger, Office des publications universitaires, 1996, p. .8 ،

[2] *Ibid.*, p. 12.

أن تفهم الحضارة الأوروبية و الأمريكية بوجه خاص نظرا للحاجة الشديدة لذلك، و إن كان العكس صحيحا"[1].

من هنا أصبحت معرفة ثقافة المجتمع الآخر أمرا ضروريا و سلوكا ذكيا يُوصِل إلى التفاهم و التقارب المفيد ومن ثَمَّ يخفّف التوتر و يقلّل من حالات التصادم، و لا يتحقق ذلك إلا من خلال اللغة.

إن اللغة هي أحد المُكوّنات الأساسية للثقافة، بَل المكوّن المحوري لها و الذي لا يُمكن تصورها من دونه، الأمر الذي يجعل "العلاقة بين اللغة و الثقافة علاقة وثيقة"[2] ، علاقة تلازميّة بحيث أن الكلام عن أيّ منهما يفترض بالضرورة الكلام عن الأخرى؛ و بتعبير آخر، إن اللغة عنصر من الثقافة و هي في الوقت ذاته الوعاء الذي يحمل الثقافة أو القالب الذي تصاغ فيه فيعطيها شكلها المتفرد؛ أي أنّه إذا كانت الثقافة تحدد السلوك الاجتماعي العام فإن " أوجُه السلوك الإنساني ليست كلها لغوية، إلا أن اللغة تحتل موقعاً مركزيًا من ذلك السلوك نظرًا إلى أنّها، شفوية كانت أو مكتوبة، هي التي تحمل و تنقل وتحافظ على أوجه الحضارة [، أي الثقافة،] المختلفة، و من دونها ليست لشعب حضارة على الإطلاق"[3].

فاللغة ليست إذن محايدة لأنها تنشأ في المجتمع، أي أن المجتمع هو الذي يعطيها كيانها، و هي عكسًا تقوم بتسجيل أفكاره و معتقداته و تصوراته للكون، من خلال الألفاظ و العبارات التي يستعملها المجتمع. بعبارة أخرى،

---

[1] نايف خرما ، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، عالم المعرفة، عدد 126، الكويت، ص 117.

[2] كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، مدخل، دار غريب، القاهرة، 235، ص 1997،.

[3] ن. خرما، ص 118-199.

وكما جاء على لسان ك. بايلون: "يمكن للغة أن تكشف البنية الاجتماعية والتبدلات التي تحدث في المجتمع"[1]، كما يمكنها أن "تكشف أسلوب الحياة والقيم الثقافية لمجتمع ما"[2]. يتضح ذلك مثلا من العبارات العامية المصرية؛ "باشا"، بِيه"، "أستاذْ"، "باش مهندس"، "أُسطه" التي تنبئ عن نظام اجتماعي دقيق يتمثل في الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الحامل لإحدى هذه التسميات، وقد رُتِّبت هنا بدءًا من الطبقة العليا نحو الطبقة الأدنى.

الأمر نفسه يُمكِن ملاحظته مثلا في الجزائر، عندما يقول شخص لشخص آخر: "توكل على الله" قاصدًا بذلك "ابدإ العمل"، أو "انصرِفْ"، في حالة ما إذا ملَّ وجودَه؛ أو كأن يقول إذا حضر الطعام "باسم الله!" طالبا منه أن يبدأ الأكل؛ أو كأن يجيب شخص عندما يُسأل، بقوله: "الله أعلم"، كناية عن عدم المَعرفة.

فاللغة هنا تُعبِّر عن المُعتقَد الدِّيني للجزائري، باعتباره سلوكا اجتماعيا للأفراد في المجتمَع. و قد أشار ف. دخُو، في هذا المضمار، إلى أن العربية لغة دينية مقابَلة بالفرنسية التي يصفها بأنها لغة علمانية.

و العامة في منطقتي الحُضنَة و الزيبان، و إلى وقت قريب، كانوا يُغَيِّرون أسماءَ الأشياء في الاستعمال بسبب التشاؤم، و يُعطونها أسماء بَديلة دالة على التفاؤل، فيقولون مثلاً "عافية" للنار، "عسل" للقطران، "ربْح" للمِلح، "مربوحة" للشبكة، "مصلحة" للمكنسة، "حلوة" للدفلى، "بيَاض" للسّخمة، و هي السواد الذي تتركه النارُ على أواني الطبخ و غيرها، و يُعرَف في المنطقة بـ "لَخْموم". و قد يُعطُون الأشخاصَ أسماءً مشينة اتقاء المصائب كتجنُّب الإصابة بالعَيْن، فيُسمون أحدَهم "الخامج"، أي الوسِخ، و يَدعون أخرى "زيتونة"، و أخرى "بَشْوعة" و هو

[1] Christian Baylon, *Sociolinguistique: société, langue et discours*, 2ème éd., Paris, 1996, p. 49.
[2] *Ibid.*, p. 50.

صيغة مبالغة من بشعة، ظنًّا منهم أن الوسَخ و السواد و البشاعة تَحجب الجَمال و بالتالي لا يصيب صاحبَه أذى "العين" فتَمنع الحسد أو أيَّ ضرر آخر.

و نظرًا إلى أن الرَّجل منهم كان يستحي من أن يَذكر اسمَ زوجته أمام الملإ، فإنه يَستعيض في الكلام عن اسمها بمفردات مثل "العايلة"، "الدار"، "عيالي"، بقوله: "كلمتْ الدار"، أو "كلمتْ العايلة"، أو "كلمتْ عيالي"،... و هذا يَعكس نوعَ العلاقة بين المرأة و الرَّجل في المجتمع الجزائري، عند طبقة معينة في فترة ما قبل الاستقلال و ما بعده بقليل.

و قد تؤرِّخ اللغة لبعض الأحداث الاجتماعية: ففي بداية استقلال الجزائر نَجِد أن كثيرا من المواليد يُسمَّون مثلا "بن بلة"، و هو أول رئيس للجزائر المستقلة، أو شخصية وطنية أخرى معروفة، تعبيرا عن تقديرهم وتخليدا لهذه الشخصية. و قد تُعطى أسماء دُوَل للمواليد الجدد وبخاصة تلك الدوال التي كان لها دور في مساعدة الجزائريين أيام مقاومة الاحتلال أو التي كانت نموذجا لمقاومة المحتل آنذاك، مثلك تونس، إفريقيا، آسيا،...

ولو رجعنا إلى الأسماء المستعملة في الجزائر، و بخاصة في منطقة الحُضنة والزيبان، لأمكننا تمييز ثلاثَ مجموعات من الأسماء: الأولى و هي التي تخص الأسماء القديمة التي استعملت ما قبل الاستقلال، من مثل: رهواجة، الطاوس، برقلاح (برق لاح)، أم الخير، رقية، اليامنة، فطيمة، يمينة، العربي، خيرة، حدّة، عشبة، الدهبازي، عيشة، علجية، و هي أسماء في جُلها مأخوذة من الطبيعة أو ميزات الشخص أو أسماء للسلف الصالح و قد حُرِّفت بسبب الأمية و الجهل بالإسلام و تاريخه. أما المجموعة الثانية فهي تلك التي ظهرت بعد الاستقلال بفترة، و بخاصة عند بدء الاتصال الفِعلي و الواسع بالمشرق العربي و عودة العلاقة مع القسم الثاني للوطن العربي الذي كان أقرب إلى الثقافة العربية

الإسلامية، و هذا مثل: سامي، عادل، ليلى، سناء، هناء، وفاء، لُمياء، نسرين، حاتم، وفاء،... و هي أسماء خفيفة حديثة تتناول معاني الجمال و الصفات السامية. و جاءت المجموعة الثالثة التي بدأ ظهورها منذ الثمانينيات، من مثل: أسماء، الخنساء، الفَرَج المُسْلِم، يَعرُب، جاء الحق، دعوة الحق، هدى الله، أحمد، سِرين، لُقمان، خَولة، سُمية، عُبيدة، رُقية، حَفصة، آلاء، إسلام، فاطمة الزهراء، نور الإيمان، و الأسماء التي تُضاف إلى الله أو إلى "الدين" أو إلى "الإسلام" من مثل: نَصر الله، رحمة الله، عبد الله، عبد الرحمان، سيف الدين، صلاح الدين، علاء الدين، سيف الإسلام، ثُم ظهرت الألقاب، أم المُسلِم، أبو عبد الرحمان، أبو أسامة، أبو عبد رب الكعبة،...

و يتَّضح هنا تحوُّل المجتمع الجزائري إلى ما هو إسلامي مشيرًا بذلك إلى النهضة الإسلامية النشطة التي عَمَّت العالم الإسلامي بما في ذلك الجزائر.

و قد تشير أسماءُ المواد إلى الوضعية أو الطبقة الاجتماعية، فنجد الجزائريين في فترة الاحتلال الفرنسي يُنسِبون، في تسميتهم للمواد: كُلَّ شيء جميل و جيِّد إلى الفرنسيين و ما هو مَحلِّي أو ريفي، و باختصار ما هو أدنى، إلى العرب،... فيقولون مثلا: خردل عرب (لِـــــفْت عربي)، بيْض عرب، لجاج عرب (دجاج عربي)، خُرشُف عرب، سروال عرب، قندورة عرب (جبة عربية)،...أو كوصفهم امرأة: "تقول قاورية" أي كأنها افرنجية، كناية عن جمالها.

و إذا كانت اللغة هي حاملة الثقافة و وسيلة الحضارة، فإن التواصل يَتم أساسًا بواسطة اللغة، و بذلك تصبح اللغة "فهرسًا" و "سِجلاًّ"[1].أو مرآة عاكسة لصورة المجتمع الآخر بحيث لا يُمكن فهمه إلا من خلالها: "إذا استطعتَ فهم

[1] ن. خرما، ص 122-123.

ما أريدُ قولَه، يُوَضِّح ل.ج. كالفي، فإنك بهذا تشاركني تقاليدي، و من ثَمَّ تفهم لماذا أتصرف بهذه الكيفية"[1].

و هكذا إذا تواجدت لغتان في وضعية احتكاك (situation de contact) فإنهما تتفاعلان و يَنتج عن ذلك تداخل (interférence) لبنيتيهما، بحيث يَحدث تسرُّب لعناصر من لغة إلى أخرى فيحصل عندئذ تثاقف لأن العناصر اللغوية، من مفاهيم و بِنْيات، تَحمِل من السِّمات الثقافية الشيءَ الكثير، و قد تَجِد طريقها إلى المجتمع الجديد فتستقر فيه. و نستعمل هنا مصطلح تداخل بمفهومه الواسع الذي يَتم على مستوى الفرد أو الجماعة، و بكيفية إرادية أو لا إرادية، وهو بذلك، و بالإضافة إلى التداخل الفردي، يَشمل ظاهرتي الاقتراض (emprunt) و النسخ (calque) اللغويتين اللتين سنركِّز كلامنا عليهما.

تحدُث ظاهرتا الاقتراض و النسخ على المستويين، العمَلي الذي ينحصر في الاستعمال المباشر لِلُّغة، منطوقة كانت أو مكتوبة، و على المستوى النظري الأكاديمي الذي يخص الجانب العلمي عند تناول الأنظمة اللغوية بالدراسة، ونعني بذلك الدراسات اللغوية أو اللغويات (linguistique)؛ و هذا ما سنُحاول طرحه في هذه المحاولة.

الاقتراض هو أن "تَستعمِل اللغةُ أ وَ تنتهي من إدراج وحدة أو سِمَة لغوية كانت موجودة سابقًا في لغة ب بحيث أن اللغة أ لم تَكُن تملكها"[2].

يتعلق الأمر إذن بـ "كلمة أو صَيْغَم[1] أو عبارة استعارها مُتكلم أو جماعة من لغة أخرى دون أن تُتَرجم"[2].

---

[1] Louis-Jean Calvet, *Sociolinguistique*, Presses Universitaire de France, 2ème éd., Paris, 1996, p. 95..

[2] Jean Dubois et al. *Dictionnaire de linguistique*, Librairie Larousse, Paris, 1973, p. 188.

هذا يعني أن لغة ما "تتبنّى وحدةً من لغة أخرى و تجعلها تستقر بها بأن تخضعها لنظامها دون أن تفقد الوحدةُ نطقَها الأصلي"[3].

و "المُقترَض" قريب مِمّا يُسميه اللغويون العرب القدماء "المُعرَّب" و "الدخيل"؛ و قد "استعمل جمهورُهم المعرَّبَ و الدخيلَ بمعنى واحد"[4].

و عادة ما يقتصر الاقتراض على الوحدات المُعجَمية[5]، مع أن بعضهم يَستعمله كذلك للدلالة على اقتراض البِنْيات، و هذا ما ينطبق على النَّسْخ (calque).

---

[1] الصيغم (morphème) هو الوحدة اللغوية الدنيا التي لها مدلول.

[2] Josiane F Hamers, Calque in "Sociolinguistique, concepts de base.", 1997, p. 136.

[3] عبد الحميد دباش، المصطلح اللغوي في المعاجم الثنائية، مجلة المُترجِم، عدد 12، جامعة السانية، وهران ، 2005، ص 25.

[4] حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1976 ، ص 71. يميز البعض بين المعرَّب و الدخيل؛ فيقول ح. ظاظا في هذا الموضوع: "المعرب هو لفظ استعاره العرب الخُلص في عصر الاحتجاج باللغة من أمة أخرى، و استعملوه في لسانهم <...>. الدخيل هو لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخلص الذين يحتج بلسانهم."(ح. ظاظا، 71). والتمييز كما هو واضح يعتمد على معيار "العرب الخلص" أو "النقاوة"، بحيث يلغي أكبر جزء من اللغة، و هذا أمر ترفضه اللغويات الحديثة لأن اللغة كلٌّ متكامل، و من ثَم لا نرى ضرورة للتمييز بينهما على المستوى النظري و نعتبرهما مفهومين من تاريخ اللغويات. و عليه سنستعمل المصطلح الحديث "اقتراض" (emprunt) كمصطلح عام يخص كل اللغات و لا بأس أن يُقصرَ "التعريب" على العربية مشيراً إلى المقترض في العربية.

[5] و هناك من يميّز بين الاقتراض في اللغة (langue) و الاقتراض في التكلم (parole)، فيكون الأول على مستوى الجماعة <...> و يكون الثاني على مستوى الفرد "J.F. Hamer، ص 137"، وهذا الأخير ينطبق على "التداخل" بمفهومه الضيق. وبتعبير آخر إذا كان الاقتراض يتشابه مع التداخل من الناحية الشكلية من حيث أنهما يحافظان على شكل و مضمون

النسخ هو أن تقوم لغة أ بترجمة كلمة أو عبارة من لغة ب بكلمة أو عبارة من اللغة أ و ذلك بهدف تسمية مفهوم جديد وارد إلى اللغة أ. وفي حالة العبارة، كثيرًا ما تحافظ اللغة أ على ترتيب العناصر كما كان في ب؛ مثل العبارتين "قاعة العلاج" و "كهرمنزلية" اللتين هما على التوالي نَسخان للعبارتين الفرنسيتين "salle de soins" و "électroménager". فالنسخ مسلك مخالف للاقتراض من حيث أنه لا يتناول سوى مدلول الوحدة، عكس الاقتراض الذي يتناول الوحدةَ بدالّها و مدلولها.

و مع أنه يُنظر إلى الاقتراض على أنه مسلك مفيد وظاهرة صحية للغة يعمل على إثرائها ويزيد في إمكانياتها التعبيرية، فإنه قد يُصبح عاملا مقلقا، في حالة حدوثه على نطاق واسع، بحيث ينظر إليه حينها على أنه يُضعِف اللغة ويُفقِدها نظامَها و صفاءها، و هو ما قد يُثير النزعة القومية و النّقائية المُحافِظة التي تطالب ببقاء اللغة نقية خالية من كل تأثير خارجي، و مِن ثَم يُصبح التصدي للمقترض أمراً مشروعا بل ضروريا.

و هذان مثالان عن الاقتراض، أحدهما في العامية الجزائرية وثانيهما في الفرنسية[1]. يقول الجزائري: "خرّجتْ طومابيلي من القاراج باش نروح

الوحدة، فهما يختلفان من حيث أن الاقتراض جماعي وإرادي بينما التداخل فردي و لا إرادي. يوصف التداخل بأنه انحراف بالنسبة لمعايير لغتين موجودتين في وضعية احتكاك.

[1] الجملة العربية: طومابيل = automobile، قراج = garage، صبيطار = hôpital، بوليسي = policier، بَرمي = permis، بروصي = procès، فرانات = freins و تعني هذه الجملة ما يلي: "أخرجت سيارتي من المستودع لكي أذهب إلى المستشفى، و في الطريق أوقفني الشرطيُ و طلب مني رخصة السياقة و لم يتركني إلا بعد أن سجّل ضدي مخالفة، قائلا لي: «مكابحك عاطلة»". الجملة الفرنسية: sucre = سكر، carafe = غرّاف، sirop = شراب، magasin = مَتجر (مأخوذة من مَخزن)، و تعني هذه الجملة: "اعطني السُكّر و القارورة التي نحوي شرابا

للصبيطار، في الطريق حبسني البوليسي و طلب مني البرمي و ما طلقنيش حتّان دار لي بروصي، قالّي فراناتك عاطلين". و يقول الثاني:

"Donne moi du sucre et la carafe qui contient du sirop que j'ai acheté au magasin".

فالكلمات السبعة المسطرة في النص العربي كلها مقترضة من اللغة الفرنسية: والكلمات الأربعة المسطرة في النص الفرنسي كلها مقترضة من اللغة العربية.

و إذا كان ما قلناه لِحَد الآن يخص "التداخل" بصفة عامة، و ذلك على مستوى اللغويات الاجتماعية، فماذا يكون بالنسبة للتداخل على مستوى الدراسات التي تُشكِّل اللغويات أو علم اللغة النظري "linguistique théorique".

إن الاحتكاك الذي يقع بين الدراسات اللغوية العربية والدراسات اللغوية الفرنسية يؤدي بالضرورة إلى التداخل بينهما، ينتج عنه انتقال عناصر من كِلا الطرفين، فتؤثر وتتأثر كلّ منهما بالأخرى. و هنا يحدث التثاقف المؤدي بالضرورة إلى معرفة الآخر مما يسهّل عملية التعامل معه و الاستفادة منه وتقديم ما يفيده.

الاحتكاك المباشر بين اللغويات العربية واللغويات الفرنسية حديث العهد، وكان ذلك حينما بدأ اهتمام الغرب بثقافة الشرق والعربية على الخصوص وحينما بدأ العرب من جهتهم يسعون إلى التعرف على الثقافة الغربية وحضارتها المعاصرة للاستفادة منها من أجل تغيير واقعهم و الخروج من دائرة التخلف الشامل؛ و ما ظهور الدراسات الشرقية و السامية و الإسلامية في الغرب و بروز الدراسات الغربية في الوطن العربي إلا دليل على هذه الرغبة القوية في محاولة التعرف

و التي اشتريتها من المَتجر" (يُنظَر في هذا الموضوع مثلا، رفائيل نخلة اليسوعي، 132 و ما بعدها، كذا ينظر .R.P.Jacques Jomier، ص 87 و ما بعدها، و هما عَمَلان مُهِمّان و يحتويان على عدد هائل من المقترض و دراسة له).

على الآخر والاستفادة منه، الأمر الذي يجعل ظاهرة التثاقف ظاهرة تحدث يوميا و باستمرار.

و قد يحدث ذلك في فترات الحرب و السلم؛ فأثناء الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي، مثلا، ظهرت دراسات لغوية كثيرة و مهمة قام بها لغويون فرنسيون كبار أمثال ماسينيان، كان لها الفضل في تعريف اللغوي الفرنسي باللغويات و من ثَم بالثقافة العربية، و كما كان الأمر في المشرق العربي وبخاصة في لبنان و سوريا أثناء الاحتلال الفرنسي وبعده. وتُعتبر هذه البلدان بالمغرب و المشرق العربيين الجِسرَ الذي يتمّ عبْره التفاعل بين الثقافتين العربية و الفرنسية.

سنتناول هنا انتقال المفاهيم اللغوية الفرنسية إلى اللغويات العربية ثم انتقال المفاهيم اللغوية العربية إلى اللغويات الفرنسية.

إن هذا الانتقال للمفاهيم اللغوية، و الذي هو صورة من صور التداخل بمفهومه العام، يتم عموما بترجمة المصطلح المقابل أو باقتراضه أو نسخه كما بيّناه سابقا.

من هذا المنطلق نجد أن المفاهيم اللغوية الحديثة كلها غربية، نشأت انطلاقا من لغويات غربية، على رأسها الإنكليزية، و صيغت في هذه اللغات، فهي إذا غريبة عن اللغة العربية و دخولها إلى اللغة العربية تم بالطرق التي أشرنا إليها بالأعلى أي الترجمة والاقتراض و النسخ. فالتعامل مع المدرستين اللغويتين، التوزيعية والتوليدية التحويلية، يَفترض الإطلاعَ عليهما في اللغة الإنكليزية و من ثَمّ نقل مجموع مفاهيمها إلى اللغة العربية بما تحمله مصطلحاتها من خصوصيات الثقافة الأنكلو سكسونية وفي مقدمتها اللغة الإنكليزية. و قد يتم الإطلاع على هاتين المدرستين عبر لغة وسيطة هي اللغة الفرنسية، كما يحدث كثيرا في الجزائر، لأن الفرنسية هي السائدة.

و هنا نجد أنفسنا أمام عناصر ثقافتين تداخلتا عبر الترجمة، و هو الأمر الذي يحدث مع المدرسة اللغوية الدانمركية المسمّاة "لُغَتِيّة" (Glossématique) و التي صِيغت في اللغة الدانمركية، و بخاصة في كتاب ل.هيالمسليف، مؤسس هذه المدرسة، و المُعَنوَن "Prolégomènes à une théorie du langage". و الإطلاع على هذه النظرية في الجزائر مثلا يَتِم عَبْر الترجمة الفرنسية للكتاب المذكور؛ فتصل المفاهيم الخاصة باللُّغَتِية إلى العربية عبر لغة وسيطة. أما النظرية السوسورية فقد نُقلت مباشرة من الفرنسية إلى العربية مثلها مثل الوظيفية الفرنسية لِـ أ. مارتيني.

فكتاب سوسير "Cours de linguistique générale" نُقِل إلى العربية[1] حاملا إليها جملة من المفاهيم الجديدة، من ذلك langage، langue، parole[2]، التي تُحدِّد موضوع الدراسة اللغوية ذاتها. و قد تُرجمت على التوالي بمصطلحات: كلام، لغة، تَكلُّم[3]، و منها كذلك signe linguistique (علامة لغوية)[4] الذي يُحدِّد الوحدة

---

[1] هناك ترجمات عربية عديدة، من بينها تلك التي قام بها يوسف غازي و مجيد النصر و نشراها في الجزائر.

[2] Ferdinand de Saussure, *Cours de linguistique générale*, publié par Ch. Ally et A. Sechaye, Payot, Paris, 1982, p. 23 et ss.

[3] ع.ح. دباش، بـ لوي جان كالفي ، اللغويات الاجتماعية، ترجمة عبد الحميد دباش، بـ "الأثر"، مجلة الآداب واللغات، عدد 3، جامعة ورقلة، 2004، ص 14. قد تترجم هذه langage، langue، parole، على التوالي بمصطلحات مثل: لسان، لغة، كلام (ف.د. سوسير، 19)، أو لغة، لسان، كلام (مصطفى حركات ، اللسانيات العامة، دار الآفاق، الجزائر ، ص 4-5)، كلام، لغة إنجاز (أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987، ص، 391، 402)،... و هذا بشأن المصطلحات التي تُعطى لجُل المفاهيم اللغوية الواردة (و حتى غير اللغوية) و هذا بسبب جدّة العِلم و الوضعية الفكرية للمجتمع العربي.

[4] (ع.ح. دباش، محاضرات في اللسانيات العامة).

اللغوية، و الثنائية diachronie/synchronie (آنية/زمانية)[1] التي تشير إلى كيفية الدراسة التي تُطبَّق على اللغة، إذا كانت في حالة ثبوت أو في حالة حركة. وكتاب أ. مارتيني "Eléments de linguistique générale"[2]، المؤلَّف هو الآخر بالفرنسية، و الذي يُؤسِّس للوظيفية، حَمَل بدوره مفاهيم جديدة من مثل: fonction (وظيفة)[3] ، الذي يشير إلى دور العنصر و علاقته بغيره، monème (لَفْظَم)، الذي يَخُص الوحدة المِدلالة الأساسية، synthème (رَكيب)، توسعة،...(يُنظر مثلا ع.ح. دباش، محاضرات في النظريات اللسانية)، و هكذا مع جميع المفاهيم اللغوية الواردة إلى العربية.

إن هذه المفاهيم و غيرها لم تكن تعرفها اللغويات العربية من قبل و وجدت نفسها مضطرة إليها لاستيعاب هذا العلم الحديث، اللغويات، و التعامل معه بمصطلحات عربية. و بدخول هذه المفاهيم و استعمالها استقرت في اللغويات العربية و أصبحت جزءا من نظامها.

و المفهوم الوارد قد يُترجم بكلمة بسيطة ذات بنية عربية شائعة مثل بناء (construction)، مُؤلِّف (constituant)، صِنف (catégorie)، قِسم (classe)، تَجزِئة (segmentation)، استبدال (commutation)[4].

و قد يُنسَخ في شكل كلمة عربية ذات بنية صرفية جديدة مماثِلة للبنية التي كانت للمصطلح الأجنبي، كما هو الحال مع لَفظَم (monème)، صَوْتَم

---

[1] المرجع السابق

[2] ينظر ترجمة سعدي زبير بعنوان "مبادئ في اللسانيات العامة"، بالجزائر.

[3] André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, Armand Colin, Paris, 1980, p. 61 et ss.

[4] ع.ح. دباش "دور التركيبية في فهم و إفهام القرآن الكريم"، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، عدد 3، 2003 .

(phonème) (ع.س. المسدي) ؛مَعجَم (lexème) نَحْوَم (grammème) (ع.ح. دباش، محاضرات في اللسانيات العامة)، مَعْنَم (sème)،مَفْهَم (sémème)، مَقْسَم (classème)، مَذْلَل (sémantème)، مَكْمَن (virtuème)[1] ، و كما في لِسانيات (linguistique)، صوتيات (phonétique)[2] ، حيث يَدل الجزءُ الأخير من الكلمة، أو اللاحقة "يات" على الدراسة أو العِلم، و الجزءُ الأول، أو الثابت على موضوع العِلم : اللسان، الصوت

و قد تكون اللاحقة الدالة على الدراسة في شكل "ية" كما في: صَواتِمِيّة (phonologie)، تركيبية (syntaxe)، مُعجمية (lexicologie)، دلالية (sémantique)[3] ؛ وهي بهذه الطريقة قد تُقابِل اللاحقة الفرنسية logie- أو غيرها.

فإذا كان العنصر الوارد في النوع الأول هو المفهوم فقط، فقد ورد في النوع الثاني ببنيته الشكلية، إذ يحتوي المصطلح العربي على الميم الأخيرة التي توجد في المصطلح الفرنسي.

و قد يُصطلح على المفهوم الوارد بعبارة كثيرا ما يُحافَظ فيها على ترتيب العناصر، كما جاء في المصطلح الفرنسي: مُؤلِّف مباشِر (constituant immédiat)، بِناء دُخُولي (construction (endocentrique)، مُركَّب صِفوي (syntagme adjectival)، صِنف تركيبي (catégorie syntaxique)،...[4].

---

[1] ع.ح. دباش، ل"ترجمة المُصطلح التشريعي في الفقه الإسلامي، من العربية إلى الفرنسية"، مجلة المُترجِم، عدد 13، جامعة السانية ، 2006، ص 122.

[2] عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

[3] ع.ح. دباش، محاضرات في اللسانيات العامة.

[4] ع.ح. دباش، مجلة الآداب، مرجع سابق.

يُلاحظ في ما سبق أن العنصر الذي انتقل من الفرنسية هو المدلول فقط. و قد ينتقل المصطلح الأجنبي كما هو، أي بدالّه و مدلوله، مع تغيير بسيط على الدّال، كما هو الحال مع: مورفيم (morphème)، مورف (morphe)[1] ، فونتيكا (phonétique)، فونولوجيا (phonologie)[2].

و من المفاهيم الكثيرة الواردة إلى اللغويات العربية من اللغويات الفرنسية، أو على الأقل عبر الفرنسية، نذكر مثلا "المُسنَد". و المسند وظيفة تركيبية تكون لكلمة واحدة، عند النحاة العرب التقليديين، كما في:

1. نام الولدُ في سريره؛
2. الصبيُّ واقفٌ أمام النافذة؛
3. أسامة أستاذ بالجامعة،

إذ ينطبق على الفعل "نام" في (1)، و على الصِّفة "واقف" في (2)، و على الاسم "أستاذ" في (3).

في حين أن المسند (prédicat) عند كثير من اللغويين الغربيين، و منهم الفرنسيين، ينطبق على كل المركب الفعلي، أو المركب الصفوي أو المركب الاسمي، أو كما يقول يسبرسن على "كل ما سوى المسند إليه"[3]. و ما الفعل أو الصفة أو

---

[1] ماريو باي ، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط.3، عالم الكتب، القاهرة، 1983.

[2] ريمون طحان، الألسنية العربية، ط.2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

[3] Otto Jespersen, *La syntaxe analytique*, Traduit de l'anglais par Anne-Marie Leonard, Les éditions de minuit, Paris, 1971, p. 222 .

الاسم، في هذه الحالة إلا نواة المسند، و إن كان المركب المسند قد يُختَزل فيأخذ شكل كلمة أو صَيْغَم، أي وحدة مِدلالة دنيا، كما في:

4. نام الولدُ؛

5. الصبيُ واقفٌ؛

6. أسامةُ أستاذٌ.

إن المسنَدَ جاء في صورة مركب فعلي (نام ... في سريره) في (1)، مُرَكَّب صِفوي (واقف أمام النافذة) في (2)، و مركب اسمي (أستاذ بالجامعة) في (3). و قد جاء المركب الفعلي متقطعا بحيث فُصِل جزآه بالمركب الاسمي (الولد) الذي أُقحم بداخله؛ و يمكن أن يأتي متواصلا كما في:

7. نام في سريره الولدُ.

و هذا قاموس اللغويات الفرنسي يشير بوضوح إلى كون المسند مركبا بالأساس: "في جملة قاعدية مؤلَّفة من مركب اسمي متبوع بمركب فعلي، نقول أن المركب الفعلي هو المسند"[1].

و قد أُعطِيت وظيفةُ المسند هنا للمركب الفعلي الذي يتقدمه مركب اسمي لأن هذا حال الجملة الفرنسية بصفة عامة، و إن كان الأمر يتغير في اللغويات العربية من حيث أن المسند في الجملة العربية قد يكون فعليا كما قد يكون لا فعليا، و قد يكون المركب الفعلي، من جهة أخرى، متقطعا كما قد يكون متواصلا، كما مر معنا.

و ها هو المُتطرِف (extraposition) يدخل اللغويات هو الآخر؛ و هو وظيفة تركيبية استعملها ك. توراتي في تحليله للجملة[1]. و يعني بالمتطرف "

[1] J. Dubois, *op. cit.*, p. 388.

الوظيفة التركيبية التي يشغلها أحد المؤلفين المباشرين لـ ج (جملة أو جُميلة)[2] . المؤلف المباشر الثاني لهذه الـ ج هو ج أخرى، أي جميلة"[3]. فالمتطرف إذن مؤلّف ينضم بكيفية إختيارية إلى جُمَيلة مُشكّلا معها جملة أو جميلة أكبر من الأولى، و بذلك يكون تَوسِعة للـ ج التي ينضم إليها.

و بهذا يشمل المتطرف كُلاّ من المبتدإ ذي الخبر الجملة و المفعول به المتقدّم، و أحداثا تركيبية أخرى، كما في:

8. زيدٌ نجح أخوه؛
9. ليلى كتابها جديد؛
10. النافذةُ كسرتها الرياح؛
11. اليومَ يعود أبي من السفر؛
12. الآنَ، حان موعد الصلاة؛
13. إلى الله ترجع الأمورُ (قرآن).

و"النعت" هو الآخر، باعتباره وظيفة تركيبية، أصبح له مفهوم أوسع مما كان عليه في النحو العربي التقليدي، فهو لا يخص فقط الصفة و لكن يتعداها إلى عناصر أخرى، كما هو الحال مع الوحدات المسطرة في:

---

[1] Christian Touratier, « Comment définir les fonctions syntaxiques », *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris* , 1/72, 1977, p. 7-6 ; id. 1989, « Esquisse d'analyse syntaxique », *l'Information Grammaticale*, n° 43, 1989, p. 38-42 ; id. « Structure de la phrase simple en arabe », *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris* , 1/84,1989.

[2] الجُميلة "هي *مؤلف من مؤلفات الجملة له بنية الجملة، و من ثم يمكنه أن يشكل بمفرده ملفوظا*".(ع.ح. دباش، 2003، ص 104).

[3] نفسه.

14.جاري رجل ملتزم؛

15.هذا فستان زينب؛

16. سليمان رجل من العاصمة.

يلاحظ هنا أن كُلاً من الوحدات المُسطرة تنضم إلى اسم مشكِّلة معه بناءًا دخوليا[1]؛ و لأن هذا البناء يمكن استبداله باسم نعتبره اسمًا هو الآخر، و لكن اسما دخوليا. يعطينا الاستبدال:

14أ. جاري طبيب؛

15أ. هذا تاجر؛

16أ. سليمان مهندس.

باختصار نحن أمام دخول كثيف لمفاهيم جديدة من اللغويات الفرنسية، أو عبر اللغويات الفرنسية، سواء كانت هذه المفاهيم جديدة كليا أو نسبيا فيتوسع مفهومها إلى مفهوم يحمل من السمات و المعاني ما لم يكن تعرفه اللغويات العربية.

بالمقابل، يمكن أن يحدث العكس و تنتقل مفاهيم لغوية عربية إلى اللغويات الفرنسية و يتعرف عليها القارئ الفرنسي فتكشف له بعضا من فكر الإنسان العربي.

إن اللغوي المُفَرنَس عندما ينصَبُّ عمله على اللغويات العربية، و التقليدية منها على الخصوص، كثيرا ما يجد نفسه أمام مفاهيم عربية ليس لها مقابل في

---

[1] إذا كان البناء مجموعة من الصياغم فإن البناء الدخولي هو "*الذي يكون له نفس توزيع أحد مؤلفاته المباشرة، و بالتالي يمكن أن يُعوَّض بهذا المؤلف المباشر، و من ثم يعمل مثله*" (ع.ح. دباش، 2004أ: 209؛ 2003ب، ص. 49-50).

الفرنسية، و هنا يكون أمامه خياران: إما أن يعطيها مصطلحات فرنسية غربية مُقرّبة تساعده على نقل المادة، و لو في غياب التطابق التام بين المصطلحين العربي و الفرنسي. و إما أن يستعمل المصطلحات العربية كما هي، في شكل اقتراض، لأن ذلك يضمن الدقة، و إن كان يحافظ على طبيعته العربية.

يقسم النحاة العربُ التقليديون الجملةَ إلى فعلية واسمية بحسب طبيعة العنصر الذي يتصدرها، أي مؤلفها الأول، "معتمدين بذلك في تأسيسها على معيار شكلي"[1]. فهي عندهم "فعلية إن بُدئت بفعل"[2] و هي " اسمية إن بُدئت باسم"[3] و حتى و إن تضمنت فعلا من بين عناصرها الأساسية. و مرادهم بـ "صدر الجملة المسند أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف"[4]. غير أن هذا النوع من التحليل رفضه الغربيون في مجمله: فهذا بلاشير و قودفروا ديموبين مثلا يَرَيان أن عناصر الجملة الاسمية من مثل:

17. زيدٌ يموت،

ليس بينهما علاقة استلزام تبادلي تجعل منهما علاقة إسنادية[5] ، و هي العلاقة التي يفتقدها د. كوهين في الجملة:

---

[1] Abdelhamid Debbache, *Le prédicat syntaxique en arabe, Thèse de doctorat*, Université de Provence, Aix-en-Provence, 1992, 2.

[2] ابن هشام جمال الدين الأنصاري،، شرح مقدمة الإعراب بـ "حاشية الشنواني على مقدمة الإعراب"، تصحيح و تصدير الشيخ محمد همام، ط.2، دار الكتب الشرقية، تونس، 1373 هـ، ص 51.

[3] المرجع نفسه.

[4] ابن هشام، المرجع السابق، ص 492.

[5] Régis Blachère et M. Gaudefroy-Demombynes, *Grammaire de l'arabe classique*, Editions Maisonneuve et Larose, Paris, 1975, p. 387.

18. زيدٌ جاء أبوه،

إذ يقول: "العلاقة بين (زيد) و (جاء أبوه) ليست علاقة المسند إليه (sujet) إلى المسند الفعلي (prédicat verbal)"[1] و بدورهما لا يرى بروكلمان و بعده ريكنفورد في البناء:

[18]. الولدُ نام

سوى جملة فعلية "عُكِس حَدَّاها"[2].

في الواقع إن الجملة قد عُرِّفت تقليديا " اعتمادا على كَون عنصرها الأول فِعلاً أو غير فِعل، و هو معيار توزيعي [تسلسلي] لا يهتم إلا بالمستوى الشكلي الخالص، دون أن يأخذ بعين الاعتبار المستوى الوظيفي"[3].

نعني بالعلاقة الإسنادية (relation prédicative) تلك التي تتشكل من مسند إليه و مسند. و عليه نترجم هنا مصطلحي (sujet) و (prédicat) الغربيين على التوالي بـ (مسند إليه) و (مسند) اللذين استعملا قديما و لا يزالان يُستعمَلان، إلى يومنا هذا و بشكل أوسع، في تحليل الجُملة، شرط أن يكونا في علاقة استلزام تبادلي كما أوضحها سيبويه، فيصبحان مفهومين تركيبيين لا منطقيين، كما يعتقد هـ. فليش (Henri Fleisch, 1957, "Etude sur le verbe arabe", *Mélanges Louis Massignon*, Institut français de Damas, 1957, vol. II, p. 155). يقول سيبويه: "*هذا باب المسند و المسند إليه، و هما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، و لا يجد المتكلِّم منه بُدًا*" (سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ، ط. 3، عالَم الكتب، بيروت، 1983، ج 1، ص 23)، ونفس الرأي يتبناه من جاء بعده، من أمثال الزمخشري و ابن يعيش: "*الإسناد لا يأتي بدون طرفين، مسند و مسند إليه*" (ابن يعيش، شرح المفصل، عالَم الكتب، بيروت، ج 1، ص 83).

[1]) David Cohen, « Les formes du prédicat en arabe et la théorie de la phrase chez les anciens grammairiens arabes », *Mélanges M. Cohen*, Editions Mouton, The Hague, Paris, 1970, p.225 .

[2] المرجع نفسه.

[3] A. Debbache, *op. cit.*, p. 22.

خِلافا للعرب، يُحدِّد الفرنسيون نوعَ الجملة اعتمادا على طبيعة مُسندها الذي يرونه "العنصرَ الأساسي في الملفوظ"[1]: فالجملة الفعلية عندهم هي التي يكون "مسندها فعلا"[2] و الجملة الاسمية هي التي يكون "مسندها اسما"[3].

و هذا الاختلاف بين النظريتين العربية و الغربية يمكن أن يكون حافزا للغويين الفرنسيين على معرفة منهج العرب الذي قد يَنم عن ثقافتهم؛ فـ. ه. فليش مثلا يربط طريقة تعريف الجملة و تحليلها، في النحو العربي التقليدي، بالذهنية العربية إذ يعتقد أن النحاة الأوائل، أمثال الخليل و سيبويه و الآخرين الذين وضعوا أسس هذا العلم، تميزوا بتفكيرهم العربي السطحي: فقد أخذوا، حسب رأيه، الأمور بظواهرها و لم يتناولوها بذهنية فلسفية: تُفكِّر و تُحلِّل وتُعمِّم لِتُرَكِّب من جديد؛ لقد تناولوا في اعتقاده، كُلاً من الجملتين الفعلية و الاسمية بمصطلحات خاصة، فِعل و فاعل بالنسبة للأولى، مُبتدَإ و خَبَر، بالنسبة للثانية، و لم يُحلِّلوها بمصطلحات عامة أي sujet و prédicat[4]، ليخلص في الأخير إلى أن "هناك نقصا واضحا عندهم يتمثل في افتقارهم إلى نظرية عامة للجملة"[5].

في رأينا، إن هذا الاعتماد على الجانب الشكلي يعود إلى كون اللغويين الأوائل قُرَّاءً تحلَّوا بالمنهج القرآني الذي يعتمد النص في ظاهره، قبل كل شيء، ويبتعد قدر الإمكان عن التأويل و التفلسف. و هذا ما طبع تفكيرهم و ظهر في سلوكهم العلمي و دراستهم للغة.

---

[1] Jules Marouzeau, *Lexique de la terminologie linguistique*, 3eme édition, Editions Paul GEUTNER, Paris, 1971, p.177 .

[2] *Ibid.*

[3] *Ibid.*

[4] H. Fleisch, *op. cit.*, p. 24.

[5] *Ibid.*.

و أما النظرية العامة فقد جاءت مع سيبويه و تبلورت فيما بعد باستعمال المسند إليه و المسند حيث يشمل الأول الفاعل و المبتدأ و يشمل الثاني الفعل و الخبر، و إن لم توظف في الميدان التطبيقي بما يكفي و اقتُصر على المصطلحات الخاصة بكل نمط جُمَلي و بقي إلى يومنا هذا.

و قد اعتبر ذو ساسي الإسناد بطرفية المسند و المسند إليه مفاهيم عامة جيء بها قديما لتحليل الجملة. و عَبّر عن ذلك بقوله: "ما نُسميه كلاما (discours) هو تضامٌ لكلمتين يُنبِئ اجتماعهما عن تبعية un attribut لـ un sujet. هذه العلاقة بين الـ attribut و الـ sujet تسمى عند النحاة العرب **إسنادا** و هو ما يمكن التعبير عنه بـ attribution. الكلمة التي تُعبّر عن الـ attribut تسمى **مُسندا**، بمعنى attribut، و التي تُعبّر عن الـ sujet تُدعى **مُسندا إليه**، بمعنى الذي نُعطيه un attribut"[1].

أما كون الإسناد و طرفيه عبارات تنتمي إلى المنطق النحوي، فإن هذا سلوك النحو التقليدي جميعه، عربيا كان أو غربيا، الذي يخلط مستويات التركيب والدلالة و المنطق و بخاصة عندما يُعرِّف المفاهيم التركيبية بمصطلحات دلالية، الأمر الذي سبب كثيرا من المشاكل.

و هذا ما فعله هـ. فليش إذ عندما عرَّف المسند و المسند إليه بنفس الكيفية: "تُحلِّل كل جملة، كل تلفظ، يقول هـ. فليش، بواسطة العنصرين sujet و prédicat.

---

1. Sacy، 2/509- 510. وهذا النص الفرنسي:

«Ce qu'on appelle discours كلام, est une agrégation de deux mots au moins dont la réunion énonce un attribut comme appartenant à un sujet. Ce rapport entre l'attribut et le sujet est nommé إسناد ce que l'on peut rendre par attribution. Le mot qui exprime l'attribut est nommé مسند, c'est-à-dire attribut. Celui qui exprime le sujet se nomme مسند إليه, c'est-à-dire celui auquel on donne un attribut.» (Sacy, 2/509-510).

نُطْقُ جملةٍ، إرسال تلفظ، يعني قول شيء (prédicat) حول شخص (sujet)، و هو مسلك خطابي يتم بواسطة النسبة [أي نسبة شيء إلى آخر]. و يبدو ذلك عاما بالنسبة للعقل البشري. و هذا ما كان بالنسبة للعرب، و هو يكفي لتوضيح موضوعنا.

هذا التحليل،يضيف هـ. فليش، يعطي ما يُسمَّى النظرية العامة للجملة"[1]. فهو إذن يسلك نفس المنهج و يعترف في الأخير بوجود نظرية عامة للجملة، و هو ما نفاه في مكان آخر.

لقد وجد الفرنسيون صعوبات في نقل المفاهيم العربية، مثل فاعل، مبتدأ، خبر،... لكونها لا تتوافق دائما مع مصطلحاتهم sujet، prédicat،... و هذا حال الغربيين بصفة عامة. و راح بعضهم يقابل "فاعل" بمصطلحات مثل "agent"، أي الذي يقوم بالحدث[2] جاعلا منه مفهوما دلاليا لا تركيبيا، و منهم من يترجمه بـ sujet[3]. غير أن الفاعل لا يمثل إلا حالة خاصة من حالات الـ sujet، وهي حالة كون الجملة فعلية، فعلُها مبني للمعلوم؛ و هناك حالات أخرى منها نائب الفاعل و اسم كان،...

و أما المبتدأ فهناك من يترجمه بـ inchoatif[4]. و يشير هذا المصطلح إلى الابتداء أي إلى توزيع الوحدة دون الاهتمام بعلاقتها التركيبية.

---

[1] H. Fleisch, *op. cit.*, p. .154–153 .

[2] Slimane Amrani, *La fonction de sujet*, Doctorat de 3e cycle, Université de Provence, Aix-en-Provence, 1985, p. 95..

[3] Gérard Lecomte, *Grammaire de l'arabe*, Que sais-je?, Presses Universitaires de France, 3e édition, Paris,1990 , p. 110 ; D. Cohen, op. cit., p. 226.

[4] R. Blachère, op. cit., p. 387200 ، ; S. Amrani, *op. cit.*, p. 87 et ss.

كما يقابلون خبر المبتدأ بـ énonciatif[1]، و هو ما يتم تلفظه بعد الأول، أو attribut[2]، و هو محاولة لمطابقة الجملة الاسمية العربية الخالية من الفعل، بالجملة الفرنسية التي تحتوي على فعل الكينونة الذي يؤخذ على أنه ليس فعلا حقيقيا وإنما يُؤتي به للتمكن من نسبة صفة إلى اسم و ربطها به: "تُستعمل عادة كلمة attribut في الفرنسية للدلالة على اللفظ المضاف إلى فعل الكينونة être في جملة النسبة: La maison est grande (الدار واسعة)"[3].

و الجملة من هذا النوع تعتبر عندهم اسمية نظرا لخلوها من الفعل الحقيقي أي الدال على الحدث[4].

من جهته يُميّز النحوُ العربي التقليدي بين الخبر و هو "ما ليس بجملة"[5]، أي "ما كان كلمة واحدة"[6] و الخبر الجملة ، أي الذي يكون في صورة جميلة. و الخبر، سواء كان مفردًا أو جملة، يُعتبر عند النحاة العرب القدماء مسندا مبتدؤه هو المسند إليه. أما الخبر المفرد "فيمثل مفهوما تركيبيا شبيها بالمسند عند أ. مارتيني"[7]؛ و هو في علاقة استلزام تبادلي مع المبتدإ، هذه العلاقة التي هي شرط الإسناد، كما وضحناه سابقا. و يزيد الزجاجي توضيحا بقوله: "المبتدأ لا بد له من خبر و لا بد للخبر من مبتدإ يُسند إليه. و كذلك

---

[1] المرجع نفسه.

[2] G. Le comte, *op. cit.*, p. 112.

[3] J. Marouzeau, *op. cit.*, p. 36.

[4] *Ibid.*, p. 157..

[5] علي بن محمد الأشموني ، شرح الأشموني بـ "حاشية محمد بن علي الصبّان على شرح علي بن محمد الأشموني، دار الفكر، بيروت، ج 3، ص 203.

[6] عباس حسن، ، النحو الوافي، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، 1963، ج 1، ص 139.

[7] A. Debbache, *op. cit.*, p. 47

الفعل و الفاعل لا يستغني أحدهما عن الآخر"[1] فشرط المسند و المسند إليه، و من ثَم الفعل و الفاعل من جهة و الخبر و المبتدأ، من جهة أخرى، هو هذه العلاقة التبادلية و التي تعني، في نظرية التحليل إلى المؤلفات المباشرة، أن المسند و المسند إليه يمثلان بناءا خروجيا[2]، هو الـ ج (جملة أو جُمَيلة): "إن مؤلفات البناء الخروجي، من حيث كونها ضرورية لوجود هذا البناء: لا يمكن إلا أن تكون في علاقة استلزام تبادلي"[3]. و الـ ج الخروجية هي التي لا تضم بين مؤلفاتها المباشرة، ج أخرى، أي التي "تكون جميعُ مؤلفاتها المباشرة مختلفةً عن ج".

و هذا التصور للخبر أو المسند نجده بالضبط عند اللغوي الفرنسي أ.رومان، كمفهوم أساسي في نظريته التركيبية التي طوَّرها و كتب حولها العديد من الأعمال بالفرنسية. لنأخذ الجملتين:

19. جارُنا مريضٌ في المستشفى؛

---

[1] الزجاجي، الجُمل؛ تحقيق محمد ابن شنب، كلينكسيك،1957، ص 48..

[2] البناء "*مجموعة من العناصر تُشكل، على مستوى ما، وحدة تركيبية*" C. Touratier, *op. cit.*, p. 2)، مثل الجملة ، المركب الاسمي، المركب الفعلي،... يتشكل البناء من مؤلفات مباشرة متدرجة. و المؤلف المباشر هو أحد المؤلفين أو المؤلفات التي تشكل مباشرة بناء. يكون البناء إما دخوليا (endocentrique) و إما خُروجيا (exocentrique)؛ فأما البناء الدخولي فهو الذي يكون له نفس توزيع أحد مؤلفاته المباشرة و بالتالي يمكن أن يُعوَّض بهذا المؤلف المباشر، و من ثَمَ يعمل مثله؛ و أما البناء الخروجي فهو الذي لا يكون له توزيع أي من مؤلفاته المباشرة و بالتالي لا يمكن أن يُعوَّض بأي من هذه المؤلفات المباشرة ، و من ثَم لا يعمل مثله. (في هذا الموضوع يُنظر: عبد الحميد دباش، ، "الجملة العربية و التحليل إلى المؤلفات المباشرة بـ "الأثر"، مجلة الآداب و اللغات، عدد 2، 2003، جامعة ورقلة، ص.41-51).

[3] F. François, *op. cit.*, p. 134.

20. الفتاةُ أبوها غائبٌ دائما.

ففي الأولى يكون المسند، حسب رأيه، هو الكلمة "مريضٌ" فقط. أما ما بعدها فهو تَوسِعة[1] (expansion) تابعة له. أما الجملة الثانية فهو يرى أنها مركبة. "تكون الجملة مركبة، يقول أ. رومان، إذا كان على الأقل واحد من عناصرها مُركَّبا هو الآخر، أي في شكل جملة سواء كان هذا العنصر أساسيا أو توسعة"[2]. و يتم، في رأيه، تحليلها على مستويين، بالضبط كما يفعل النحاة العرب التقليديون: مستوى الجملة، و يرى فيها مسندا إليه أول (الفتاة) و مسنده المركب (أبوها غائب دائما)، و مستوى الجُمَيْلة، أي المسند المركب، فيميز فيها هي الأخرى مسندا إليه (أبوها) و مسندا (غائب) و توسعة تابعة له (دائما). و هذا كما يلي:

الفتاةُ أبوها غائبٌ دائما

م.أ م

م.أ م

و هو ما نجده بالضبط عند النحاة القدماء :

الفتاةُ أبوها غائبٌ دائما

[1] تعني التوسعة، عند أ. مارتيني، *"كل ما ليس ضروريا"* (A. Martinet, *op. cit.*, p. 128) أي *"كل عنصر مضاف إلى الملفوظ دون أن يُغير وظيفة العناصر الموجودة سابقا و العلاقات المتبادلة بينها"* (المرجع نفسه)، و هو المعنى الذي أخذ به أ. رومان. و التوسعة بهذا المعنى لا تطابق تماما مفهوم "الفضلة"، في النحو العربي التقليدي. فالفضلة "عبارة عما زاد على ركني الإسناد." (ابن مالك، 304) لا ما أمكن الاستغناء عنه.

[2] André Roman, *Grammaire de l'arabe*, Que sais-je ?, Presse Universitaire de France, Paris, 1990, p. 114.

مبتدأ خبر

مبتدأ خبر

و هنا يمكن ملاحظة أن المفاهيم العربية انتقلت إلى الفرنسية بكل ما تمثله من تناقض. فإذا كان "جارنا" هو المسند إليه في (19)، فبالأحرى أن ينطبق المسندُ على كل الجزء الباقي من الجملة أي "ما سوى المسند إليه"[1]. و للجملة مؤلفان مباشران هما المركب الاسمي "جارنا" الذي يشغل وظيفة المسند إليه، و المركب الصفوي "مريض في المستشفى" اللذان يؤلفان معا الجملة الخروجية؛ و ما الصفة "مريض" إلا نواة المركب الصفوي، أي نواة المسند.

نجد نفس الأمر في 20، على مستوى الجُميلة حيث يُقصى العنصر "دائما" من المسند و يُقْتصَر على "غائب" الذي هو نواة المركب الصفوي "غائب دائما".

و حتى على مستوى الجملة لا يمكن أن نعتبر الجميلة "أبوها غائب دائما" مسندا لمسند إليه محتمل "الفتاة" لعدم توفر علاقة الاستلزام التبادلي بينهما؛ إذ العنصر الأول "الفتاة" يمكن أن يُستغنى عنه: الأمر الذي يجعل من الجملة كلها بناءا دخوليا، في حين أن المسند و المسند إليه يُفترض أن يشكلا جملة خروجية و هو ما لا يتحقق هنا.

من جهة أخرى، قد يرى اللغوي الفرنسي أو المفرنس أنه من الأفضل بل من الدقة أن تُنقل بعض المفاهيم العربية إلى الفرنسية كما هي عن طريق الاقتراض، كما تم ذلك من الفرنسية إلى العربية، لأنه يستحيل أن يكون للمصطلحات العربية مقابل في اللغويات الفرنسية.

[1] O. Jespersen, *op. cit.*, p. 222..

ففي تحليله للجملة العربية، نجد ك. توراتيي، يستعمل مباشرة المصطلحات العربية mubtada' (مبتدأ)، habar (خبر)، fā'il (فاعل)، musnad (مسند)، musnad ilayh (مسند إليه)، ومصطلحات مثل kāna (كان)، inna (إن)، laysa (ليس)، mafūl (مفعول). و هذا ما نجده عند ع.ح. دباش هو الآخر[1].

و يلاحظ من خلال ذلك أنه قد يستعمل اللغوي إلى جانب المصطلحات الفرنسية، التي يرى أنها مكافئة أو قريبة منها، مصطلحات عربية (سعيا للدقة)[2].

و الخلاصة أن اللغتين العربية و الفرنسية وُجِدتا في وضعية احتكاك، فرضته الظروف و الحاجة، فتبادلتا المفاهيم، ليس فقط على المستوى العام وإنما حتى على مستوى الدراسات اللغوية نفسها بما يفرزه ذلك من إشكاليات من الناحيتين النظرية و التطبيقية. و قد مَثَّل النسخُ و الاقتراضُ أهمَّ الوسائل المساعدة في هذا التفاعل العلمي والثقافي الذي يُثري اللغتين، بالإضافة إلى كونه عامل تلاقح بين الثقافتين.

---

[1] A. Debbache, *op. cit.*, p. 2 et ss.

[2] ينظر مثلا

Nadjah Hanka, *L'adjectif qualificatif entre tradition grammaticale arabe et analyse fonctionnelle*, Université de Ouargla, 2004, p. 11 et ss.